

استنكار المهزوم: مصير الإخوان المسلمين بعد انتصار سوريا

2019-01-02 | ادريس هاني

بين عشية وضحاها بات الأمريكيون والإسرائيليون يتحدثون عن بشار الأسد والنظام السوري على طريقة الإخوان المسلمين المنشقين الذين تشبّثوا بموقف الكراهية وفضلوا حياة الشتات والبنس وتكونت لديهم أحاسيس صهيونية تجاه دمشق حتى أنهم لم يعترفوا بأي إنجاز لسوريا بما في ذلك لاءات الأسد لكون باول.. هذه الكراهية تفوق السياسة لأنها باتت برنامجاً للإخوان لا يخلو منه منشور من مناشيرهم التحريضية..

فلقد بدا أنّ الإخوان السوريين يفطمون أبناءهم على الأسد كما بدا أنّ إخوان مصر يفطمون أبناءهم على جمال عبد الناصر.. كراهية الإخوان للنظام السوري هي بالفعل ظاهرة تصنف في خانة المرض السياسي المزمن.. لقد أعطى النظام السوري فرصة تاريخية للإخوان لكي يطوروا من أفكارهم ويعودوا إلى رشدهم من خلال احتضانه لمشروع الحوار القومي-الإسلامي الذي فشل في احتواء الإخوان، وعن طريق دعم حماس غير المسبوق والذي لا نظير له..

لا شيء هنا يفيد.. وفي جواب عن سؤال سبق وطرحناه في وفد إلى السيد الرئيس بشار الأسد فإن الإخوان أثبتوا أنهم غير قادرين أن يتغيروا منذ ثمانين عاماً.. ولكنهم على الرغم من كلّ هذه الفرص التي قدمها النظام السوري للإخوان سقطوا في امتحان الوفاء ولم يتخلصوا من هذا الميراث الثأري المرضي حتى الآن.. وأعتقد أنّ الإخوان باتوا اليوم خطراً وهم بالنسبة للشعب السوري الذي ذاق الويلات من بروبوغاندا الإخوان بمثابة بقايا النازية.

إنّ مشكلة الإخوان، وأنا هنا لا أتحدث عن عناوين التنظيمات بل عن مضمونها المنبثق من ثقافة وميثاق الإخوان القديم، هم اليوم على الرغم مما يظهرونه من كبرياء المهزوم بعد انتصار المحور السوري أمام تحديّ خطير.. فالانتصار السوري سيعجّل بخروجهم من التدبير الحكومي لأنهم باتوا عنصر حرج بالنسبة للدول العربية التي ستجد نفسها في طور جديد من ترتيب البيت العربي الداخلي بعد الحرب على سوريا.. فالإخوان سيكونون نشازاً في السياسات القادمة.. وهم اليوم في

حالة ارتباك لأنه ووفق قانون القصور الذاتي للبروباغاندا الإخوانية ضد سوريا يصعب ترميم هذه الفتوق.. بعض أجنحتهم تتحرك اليوم يمينا وشمالا عبر عمليات توزيع الأدوار.. يحاولون عبر جمعيات موازية اتخذت من القضية الفلسطينية ذريعة سيحاولون تغيير اللهجة واللوك كما لو أنهم جزء من محور المقاومة..

وبفعل التطور الكبير لملف الأكراد ستضطر تركيا إلى العودة إلى المربع الأول وبالتالي سيكون مصير الإخوان مؤقتا على زمن الأوردوغانية المجهول المصير.. قطع الإخوان خطوط العودة وحتى إيران أصيبت بخيبة أمل منهم على الرغم من أنهم يحاولون اختراق محور المقاومة عبر البوابة الإيرانية في محاولة لتجزئ الموقف ما بين سوريا وإيران وجعل سنوات من المحاولة للإطاحة بالمحور مجرد سوء فهم واختلاف رؤية.. بالنسبة للسوريين بات موضوع الإخوان خطأ أحمر حيث تركت القيادة السورية الرأي للشعب.. وقد أظهر الشعب تبرما كبيرا من كل ما له صلة بفكر الإخوان، يظهر ذلك جليا في الوثيقة التي صدرت عن الأوقاف على الرغم من وضوحها في الموقف من الإخوان، مما يؤكد أن الشعب السوري لم يعد يتسامح بل يظهر الكثير من الحساسية من موضوع الإخوان ويعتبر أي شكل من أشكال هيكله الحقل الديني شكلا من أشكال الأخونة.. فالشعب السوري غاضب من الإخوان حتى وإن حاول الإخوان في الشتات المريح أن يظهرُوا عبر وسائل الإعلام التضليلية أنهم يتحدثون باسم الشعب السوري..

بعد انتصار سوريا سيتراجع تيار البروباغاندا وهيستيريا الكراهية لأنّ الدعم المخصص لذلك سيتراجع.. قطر نفسها لن تظلّ إلى الأبد حاضنة للإخوان، فلقد سبق أن احتضنتهم السعودية والإمارات قبل أن يصبحوا العدو رقم واحد بالنسبة إليهما.. الإخوان غير محظوظين مع حلفائهم لأسباب كثيرة تتعلق بتناقض المصالح وأزمة الوفاء.. لا أستبعد إذا ما استمر الإخوان على مواقفهم وأحاسيسهم أن نجدهم يوما قد فتحوا مكاتبهم في تل أبيب، فسياساتهم ومواقفهم خلال السنوات الأخيرة التقت استراتيجيا مع السياسات والمواقف الصهيونية في المنطقة حيث تكاملت الأدوار.. ولقد عزز اللوبي الصهيوني من دورهم ومنحهم فرصة وجلب لهم الدعم الأمريكي حيث قدم قادتهم خطابات في مراكزهم من إباك إلى منابر أخرى.. خطابات عززت من عنصر الثقة بين الأطراف التي ستلعب دورا كبيرا في تغيير الشرق الأوسط وهنا أريد أن أتوقف لأتحدث عن الأسباب الموضوعية لهذه العلاقة بين البرنامج الأمريكي والإخوان:

لن أعود للتأكد على ما مثله الأوردوغانفة فى هذا المجال منذ التفت كبر الباحثفن فى مؤسفة راند غراهام فولر والمسؤول السابق فى الاستخبارات الأمريكية إلى أهمية الدور الذى سىلعبه أوردوغان فى المستقبل بينما كان هذا الأخير لا زال رئىسا لبلدية إسطنبول.. وتزامن تنبفه غراهام فولر للسفر الأمريكي أنذاك بأنقرة بالاهتمام برجل المستقبل ذاك مع رسائل أوردوغان وهو لا زال مسؤولا فى تدبير الجماعات المحلية إلى نائب وزير الدفاع الأمريكي "بول وولفويتز" يعرب له فىها بأنه مستعد للتعاون مطلقا مع الأمريكيين، وحين وصل إلى الحكومة أعلن مرارا بأنه شريك فى مشروع الشرق الأوسط الجديد.. وبذلك أصبحنا أمام نموذج جديد ومارشال اقتصادى بموجه تحول أوردوغان إلى منقذ وهمى للاقتصاد التركى لبدأ التعاون بين النموذج الإسلامى الجديد ومصالح الرأسمالية المتوحشة.. بدأ الحديث منذئذ عن ضرورة منح الإخوان المسلمين فرصة.. والفرصة هنا بالتصريف الجيوستراتيجى هى أن نجعل منهم حصان طروادة فى مشروع الشرق الأوسط الجديد.. سأعود إلى عشرات العقود من الزمن حيث يبدو لى أن الأرشيف الأمريكى ينطوى على مقاربات متنوعة لأشكال التغيير فى الشرق الأوسط، فقد يتساءل المراقبون: لماذا الإخوان بالذات؟

حين كان سيد قطب باحثا فى إحدى المراكز البحثفة فى الولايات المتحدة الأمريكية وأظهر الأمريكىون الكثير من الاهتمام به حتى اقترح ترومان أن يستدرجوه لىكون مستشارا داخل البيت الأبيض، قدم بحثا لعله أول بحث عن مستقبل الإسلام السياسى فى الشرق الأوسط.. لقد لفت الإنتباه إلى ذلك وحينئذ كانت تلك هى قناعة سيد قطب التى تشكلت داخل أمريكا، حيث ما أن عاد إلى مصر حتى ارتبط بالإخوان بعد أن كان يعتبر حسن البنا بمثابة حسن الصباح.. فشل الأمريكىون فى استقطاب سيد قطب لأسباب تتعلق بمزاجه غير المناسب للعمل الاستخباراتى، فهو حتى حين قدم هذا البحث كانوا يلمسون فىه جدفة من يؤمن بالفعل بهذا الخيار ولىس مجرد محلل..

ويبدو لى أن الأمريكىين حين طرحوا مشروع الشرق الأوسط الجديد استعادوا هذه الفكرة المركزية من الأرشيف، وبالفعل كان هؤلاء الفتفة كما تنبأ سيد قطب سىكون لهم الدور الأساسى فى تغيير الشرق الأوسط.. فلا تنسى العنوان الأبرز للربيع العربى وإشراف هشام مرسى صهر الأب الروحى للتنظيم الدولى للإخوان القرضاوى على أكاديمية التغيير.. لقد نضجت الشروط وأصبح للتغيير مقاصد أخرى حيث اقتضى الأمر أن يتم استعمال كل هذه القوة الانكشارفة السلفية وأيدولوجيا الإخوان فى تدليل الطريق لبناء شرق أوسط جديد.. وهذا المشروع يتطلب فوضى

خلاقة.. وهنا سيشعر الإخوان أنهم يغيرون الشرق الأوسط لصالح أطروحتهم بينما هم في الوقت نفسه يغيرون الشرق الأوسط لصالح المشروع الأمريكي، وبأنهم ليسوا سوى مرحلة الفوضى الخلاقة حيث بدأت العناوين الجديدة تخرق المعجم السياسي العربي في إطار تهذيب مصطلحا الإخوان بناء على خداع البرمجة العصبية اللغوية والتقنيات التي تم تكوينهم عليها في برامج التكوين على لغة البرمجة والتضليل وكان الربيع العربي هو الإطار الذي ستنتقل في رحابه فصول هذا التغيير..

لكن المشروع الأمريكي اصطدم بمشروع آخر.. وبدا الإخوان عاجزين عن تحقيق حلمهم القديم وبالأحرى تحقيق مشروع الشرق الأوسط الجديد.. لقد فشلوا وتبين أن الفرصة التي منحت لهم انتهت إلى نتائج صفرية..

كانت سوريا هي مسرح الصراع حول الشرق الأوسط الجديد.. ثماني سنوات من الحرب الكونية انتهت بانتصار سوريا.. كان المحور المناهض لمشروع الشرق الأوسط الجديد يتحرك في إطار هذا المنظور للصراع بينما الإخوان كانوا ينظرون نظرة غبية للصراع وتبسيط لقواعد اللعبة مما جعل الإمبريكيين يستثمرون في أحقاد الإخوان القديمة تجاه سوريا حيث اعتبر الإطاحة بالنظام السوري هو إطاحة بالشرق الأوسط القديم، غير أن هذا لم يتحقق.. صمدت سوريا وفشل مشروع الشرق الأوسط الجديد وبات الإخوان ييكون حظهم العاثر مرة أخرى.. فبعد أن أعطيت لهم فرصة ليكونوا حمار طروادة في حرب إمبريالية على المنطقة سيعودون قريبا إلى البكاء على الأطلال.

لقد تفاعل الإخوان المسلمين مع الفرصة التي منحهم إياها غراهام فولر عبر استشاراته وإشرافه على برنامج التأهيل النظري لمشروع احتواء الإخوان عبر مؤسسات مثل راند وكارنيجي التي منحتهم فرصة ليصبحوا أصحاب رأي وصفة خبراء في شؤون الشرق الأوسط والديمقراطية وبرامج التغيير والثورة.. لقد تفاعلوا مع الفرصة التي منحتها إيباك للإخوان ولم يتفاعلوا مع الفرصة التي منحهم إياها بشّار الأسد.. وأصبحت شبكات الميديا تحت هيمنة الجيل الجديد من إخوان البرمجة العصبية اللغوية..

لقد أظهر الإخوان حقدا غير مسبوق على المحور السوري على الرغم من أنه لم يكن في أولويات

هذا الأخير محاربة الإخوان.. فبالمقارنة مع ما تقوم به الرياض والإمارات يبدو موقف المحور المذكور أقلّ قسوة وهو في حالة دفاع.. تدرك الرياض والإمارات حجم الخطر الذي يمثله الإخوان باعتبارهم سبق واحتضنوهم واكتشفوا طريقة تخابرههم مع الأجهزة الاستخباراتية لا سيما في أمريكا وبريطانيا.. أدركوا ذلك منذ فتحوا الندوة العالمية للشباب الإسلامي في 1972، حيث أدارها أول الأمر الإخوان.. وهذا أصبح واضحا منذ اتخذ الإخوان قرار الانخراط في سياسة التمكين وفتح الخط مع الأمريكيين، العمل الذي تزعمه عصام العريان وخيرت الشاطر عن طريق الوسيط الذي فتح لهم الباب: سعد الدين إبراهيم.. وربما يعود الفضل مصر التي ربما قدمت وثائق إلى الجهات المعنية تعزز تعاون الإخوان مع تلك الدوائر..

وربما في هذا الإطار كانت السعودية والإمارات تتعامل مع الإخوان بحسّ أمني محض، الشيء الذي لم يحدث مع إيران التي لا زالت تؤمن أكثر من كل هؤلاء بمنح الإخوان فرصة ليصلحوا من مواقفهم على الرغم من أنهم تحاملوا عليها منذ الربيع العربي حتى اليوم مستعملين ذات الإرث الطائفي الذي يمكن أن يستعمله حمار طروادة في معركة ذات أبعاد جيوسراتيجية يتحكم فيها من الطرف الآخر قادة لعبة الأمم.. بالنسبة إلى قطر تدرك أنّ التّشبث بالإخوان هو تشبث بإحدى أكبر الأدوات التي استعملتها أمريكا في مشروع الشرق الأوسط وهي لا تخشى من تأمر الإخوان لأنها ستلعب يوما دورا أساسيا في تفكيكهم لأنها استطاعت هي الأخرى اختراقهم وتوظيفهم في خلق توازن بينها وبين خصومها داخل البيت الخليجي..

إن انسحاب ترامب من شمال شرق سوريا والحديث عن خيبة أمل عبّر عنها حتى آخر رجل أمريكي في دمشق، أعني السفير روبرت فورد، الذي أعلن انتصار الأسد، سيكون له تداعيات سياسية تجعل مصير الإخوان المسلمين في المنطقة العربية إلى وضعية مضغوطة حيث سيتحولون إلى بؤرة للتجسس الدولي على الدول العربية برمتها.. وكالعادة سيغيرون الملامح بعمليات تجميل تشبه تلك التي قام بها قادتهم غداة تولّي سلطة التدبير الحكومي في بعض البلدان العربية في انتظار نوبة جديدة من التمكين.. بعد انتصار سوريا سيكون هناك إجماع عربي على خطورة الإخوان من حيث شكلوا ظاهرة لطابور خامس لن يتحملة حتى حلفاء الولايات المتحدة الأمريكية التقليديين في المنطقة.. ولقد انتاب الإخوان ذعر كبير من قرار استئناف بعض الدول العربية لعملها الدبلوماسي في دمشق، فهذا التقارب حتى في إطاره الدبلوماسي سيجعلهم هم من يدفع كل أثمان المرحلة

السابقة.. لن يبقى الإخوان مكتوفي الأيدي، سيبدرون إلى مخارج جديدة فما هي هذه المخارج؟

هناك المخرج الجذري وهو مستبعد: أن يحدث الإخوان مراجعة كاملة لتراثهم الفكري والنفسي.. مستبعد نظراً لأن الإخوان غير مستعدين لتخطي أنفسهم، ولأن غياب الثقة سيجعل مراجعاتهم ضرباً من الخداع في نظر خصومهم.. وسيستمر الإخوان على حالة المستكبر المهزوم، الحالة التي ستكون لها إفرازات وتداعيات خطيرة على مستوى الهروب باتجاهين: إما ناحية إسرائيل أم ناحية إيران التي لازالت تظهر لهم بعض سعة خاطر.. وهنا يبدو الدور القطري صمام أمان ليس في عدم توجه الإخوان ناحية إسرائيل بل في عدم توجههم ناحية إيران.. وفي النهاية سيقبل الإخوان بحالة الشتات وسيرتفع منحى الكراهية والاحتقان في انتظار هيرتزل إخواني جديد يعدهم بدولة بديلة في جزيرة هونولولو..

سقط الإخوان في مصر ولن يكون لهم مستقبل في سوريا وستطرح بهم استحقاقات المرحلة في تونس وسيقوض حلمهم في ليبيا وستسقط حكومة الإخوان في المغرب، إنه ربيع سقوط الإخوان الذين لعبوا طيلة الربيع العربي وسيلعبون الدور نفسه دائماً لحاطب ابن أبي بلتعة....

* مفكر مغربي

.....

* الآراء الواردة لا تعبر بالضرورة عن رأي شبكة النبا المعلوماتية